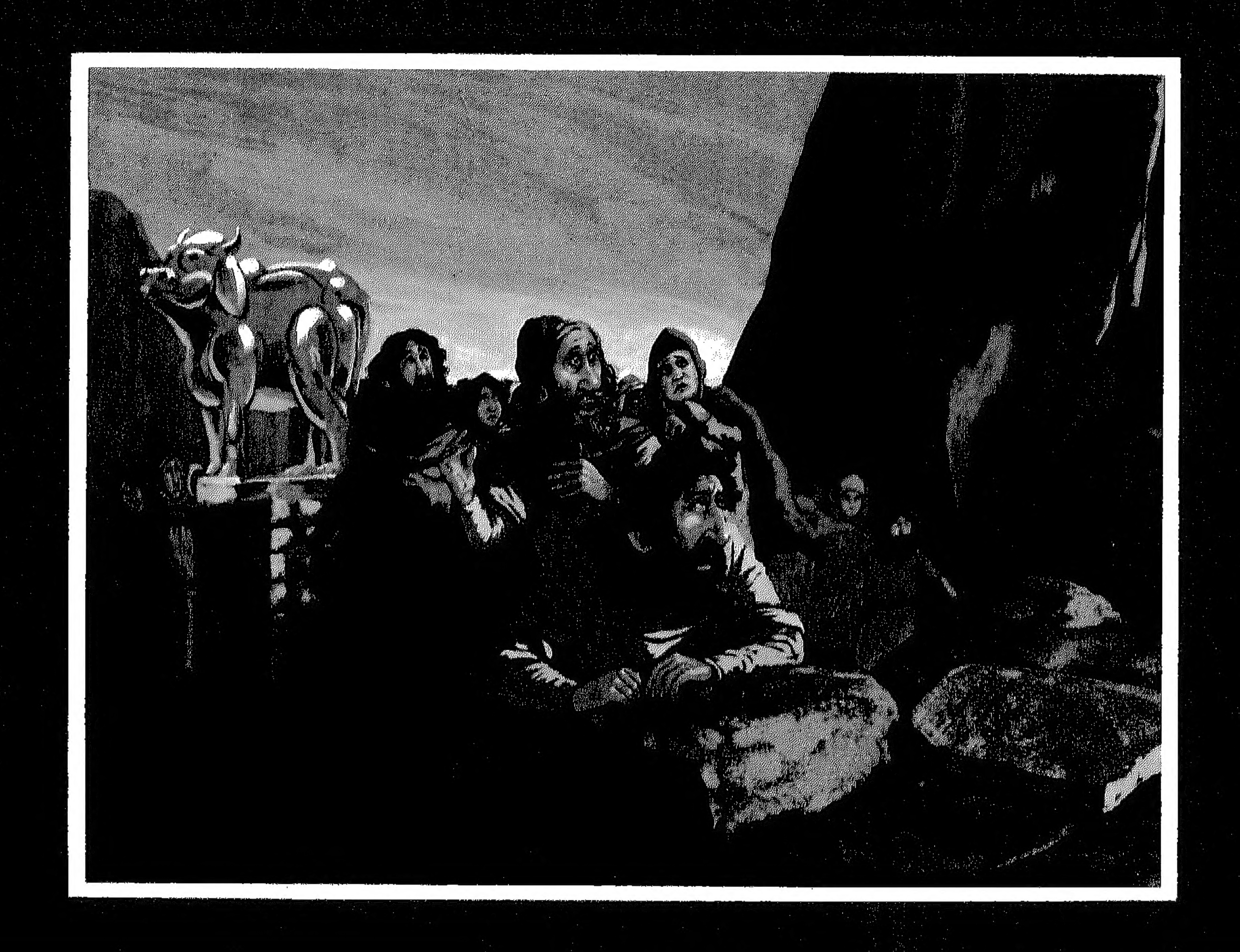


السامري والعجل

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



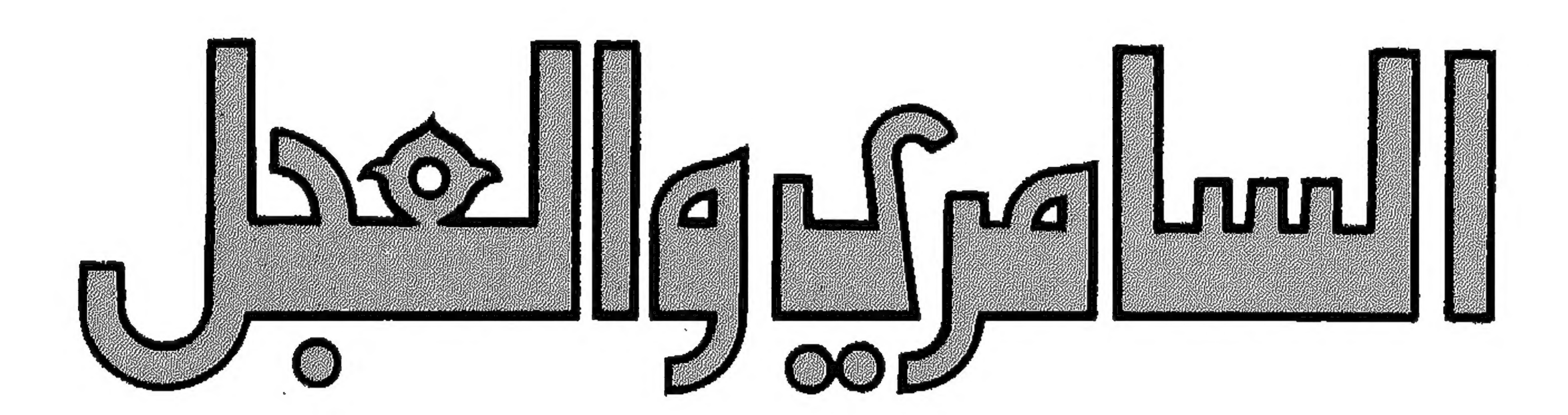
دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة الثانية
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

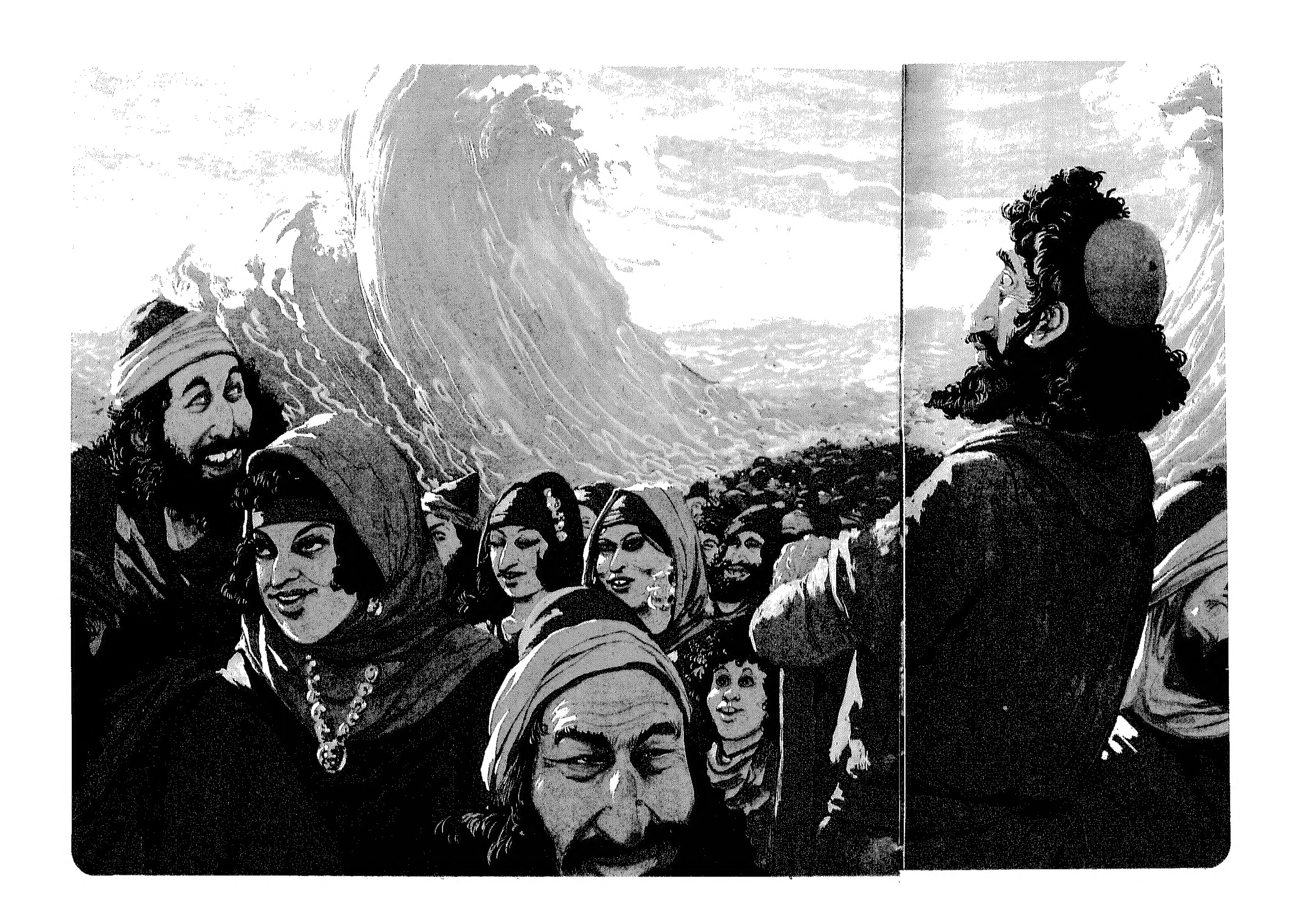
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني : email: dar@shorouk.com

قصص القرآن



قلم : أحمد بهجت   ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق



كان السَّامِريُّ رجُلاً من بني إسرائيلَ ، وقد خرجَ معهُم حين خَرجوا من مصرَ . .

وقد لاحظَ السَّامريُّ أمرينِ وهو يَسيرُ مع قومِ مُوسَى بعدَ هلاكِ فِرعونَ وجُنودِه ونجاةِ بني إسرائيلَ .

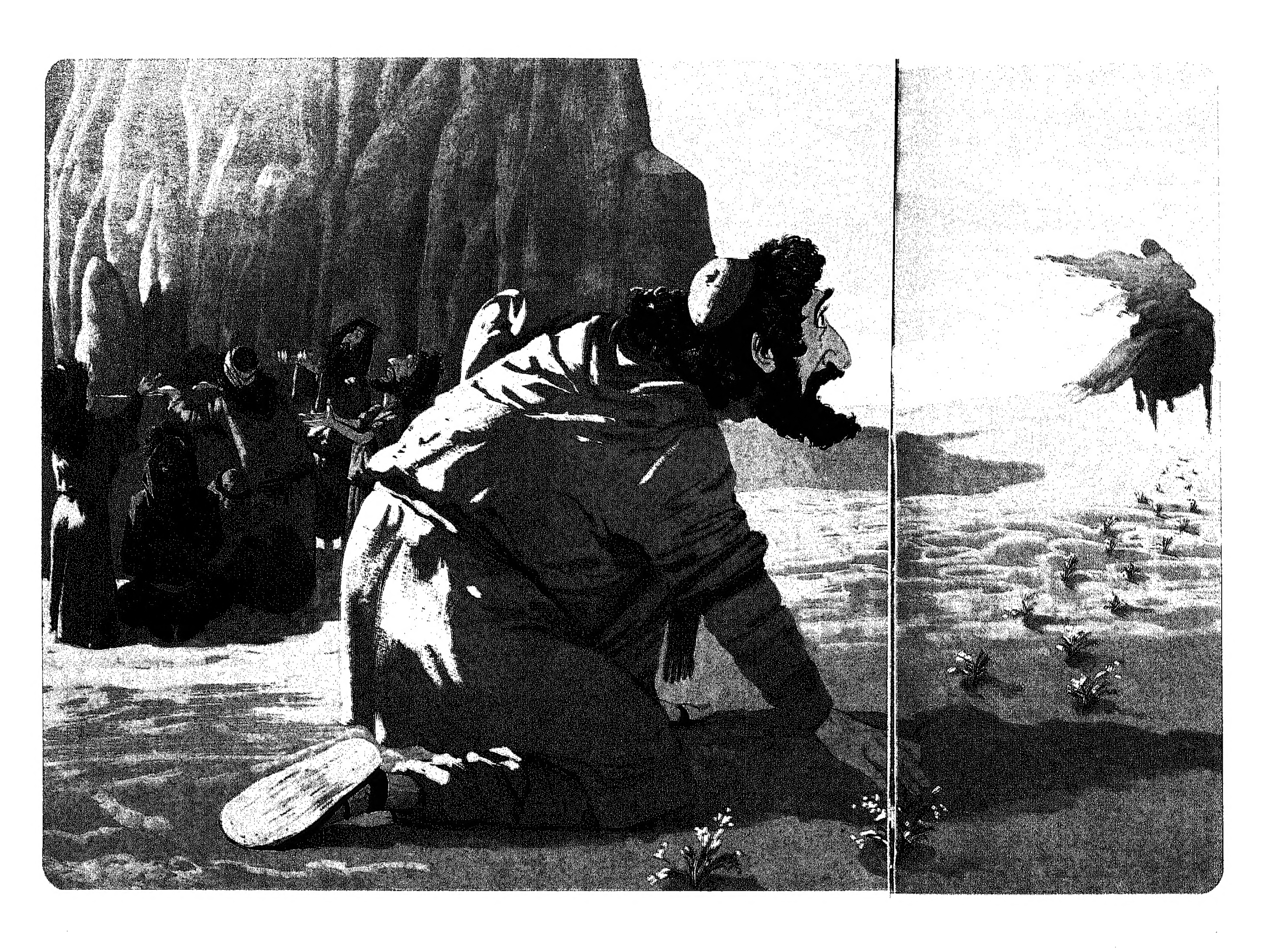
لاحظ أن بني إسرائيلَ كانوا قد آقترَضوا من المصريِّينَ كثيراً من الحِليٰ الذَّهبِ ـ كعادةِ الخدمِ حين يَقترضونَ من سادتِهم بعضَ حِليهِم للظُّهورِ بها في حفلٍ أو مناسبةٍ ، ثم يَرُدُّونَها بعد ذلك ـ لكن المِصريِّينَ هَلكوا في البحر . . وبذلكَ صارَ الذهبُ مُلكاً لبني إسرائيلَ .

كان السَّامريُّ يُفكِّرُ في هذا الذهبِ ، وكان هذا آكتشافُهُ الأوّل . . أَما مُلاحظتُه الثَّانيةُ أو آكتشافُه الثاني فكان عجباً . .

لاحظَ أَن هناكَ فارساً جليلاً وغامضاً لا يظهرُ وجهُهُ يَتَقَدَّمُ قافِلةَ موسىٰ ، وقد ظهرَ هذا الفارسُ حين آنشقَّ البحرُ لِموسىٰ ، وكَان حافرُ حِصانِ هذا الفارسِ الكريمِ لا يقعُ على شيءٍ إلا دَبَّت فيه الحياةُ ونَبتَ فيه الزَّرعُ .

وأدركَ السَّامريُّ أن هذا حِصانُ جبريلَ عليه السَّلام ، وآنحنىٰ على الأرضِ وقَبضَ قَبضةً من أَثرِ هذا الرَّسولِ الكريم جِبريلَ ووضعَها في ثيابه . .

جاوزَ بنو إسرائيلَ البحرَ . . وساروا قليلاً في سِيناءَ . . مرُّوا على قومٍ يَعكِفونَ على عِبادةِ أَصنامِهم . . وَقفوا يتأمَّلونَ المشهدَ بإعجابٍ خفيٍّ .



كان المَفروض أن بني إسرائيلَ هم حَمَلةُ التَّوحيدِ في الأرضِ في هذا الزمانِ البَعيدِ . . كان المَفروض أنهم شاهَدوا المُعجزَةَ الكُبرىٰ التي وَقعتْ لهم بِشقِّ البحر . . كان المَفرُوض أن يكُونوا مُدرِكينَ أن جيشَ فِرعونَ قد غرِقَ لِكُفرِه باللهِ ، وأنهم نَجوا لإيمانِهم بالله . .

رغمَ كل هذهِ الحَقائِق .

لم يكدْ بنو إسرائيلَ يَشهدونَ قوماً يَعْبُدونَ أَصناماً لهم حتى آستيقَظَ فيهم حَنِينُهُم لِعِبادةِ الأصنامِ . . وتذكَّروا أَيامَ كانوا خدماً وعبيداً عند المصريِّينَ ، وكيف كان سادَتُهُم يَعبُدونَ أصناماً كثيرةً تَنْتهي في قِمَّتِها بفرعونَ ، ويبدو أن رَغبةَ بني إسرائيلَ في عبادةِ شيءٍ ملموسٍ تَرجمتْ عن نَفسها حين قالوا لِموسىٰ :

﴿ يَا مُوسىٰ . . آجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ . .

غضِبَ موسىٰ وقالَ : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ . . ﴿ أَغَيْرَ آللهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلى آلْعَالَمِينَ ﴾ . . كيف تُريدونَ العَودةَ إلى عِبادةِ الأصنامِ وأَنتم أَهلُ توحيدٍ ؟

آستَمَع بنو إسرائيلَ لقولِ موسىٰ وَسكتوا . . ولاحظَ السَّامريُّ هذا كُلَّه . . وبدأَ ذِهنُه يعملُ .

وقعتْ مُشاجراتٌ كثيرةٌ بين بني إسرائيلَ . . كان مَصْدرُها ذهبُ المِصريِّينَ الذي حَملُوه معهُم حين خَرجوا من مِصرَ . لقد صارَ هذا الذهبُ الآن مُلكاً لهم بعد أن آنطبقَ البحرُ على جيشِ فِرعونَ وجُنُودِه . .

وبدأ كلُّ واحدٍ من بني إسرائيلَ يعتبرُ أن الذَّهبَ قد صارَ من حقِّهِ ، وراحَ الناسُ يُفكِّرونَ ماذا يَفعلونَ بهذا الذَّهبِ .

وتَشاجرَ البعضُ منهم على الذَّهبِ وآدّعىٰ بعضُهم أن ذهبَ الآخرينَ مِلكٌ له . .

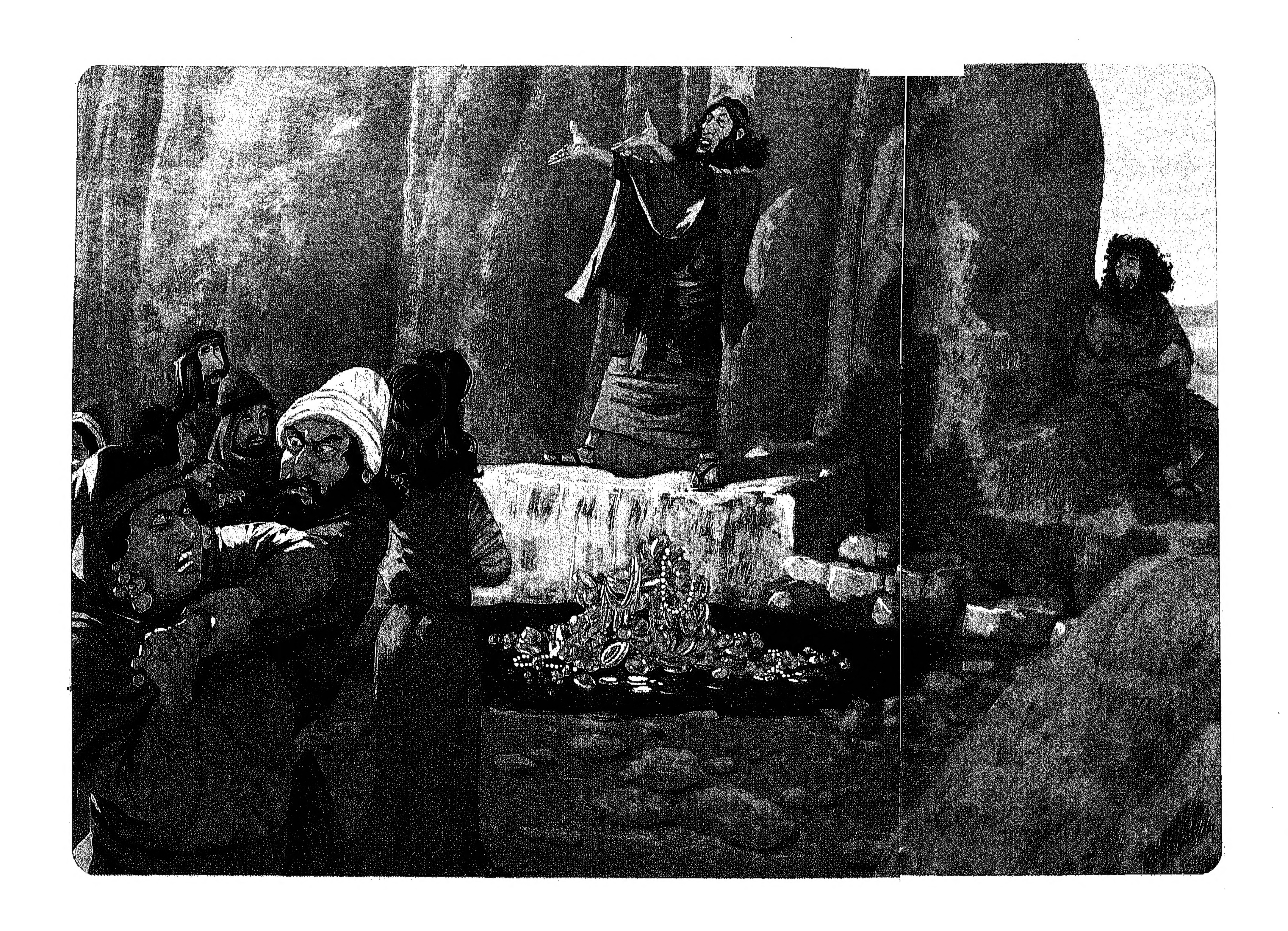
ولاحظَ هارونُ هذا كلَّه فأَبلغَ موسىٰ ، فأمره موسىٰ أن يَجمعَ الحِلىٰ الذَّهبَ من بني إسرائيلَ كلّها ويَدفُنَها في الأرضِ . . وكلَّف هارونُ رجلاً فاضلاً من بني إسرائيلَ أن يجمعَ الذهبَ منهم ، ويُسلِّمَه إليه . .

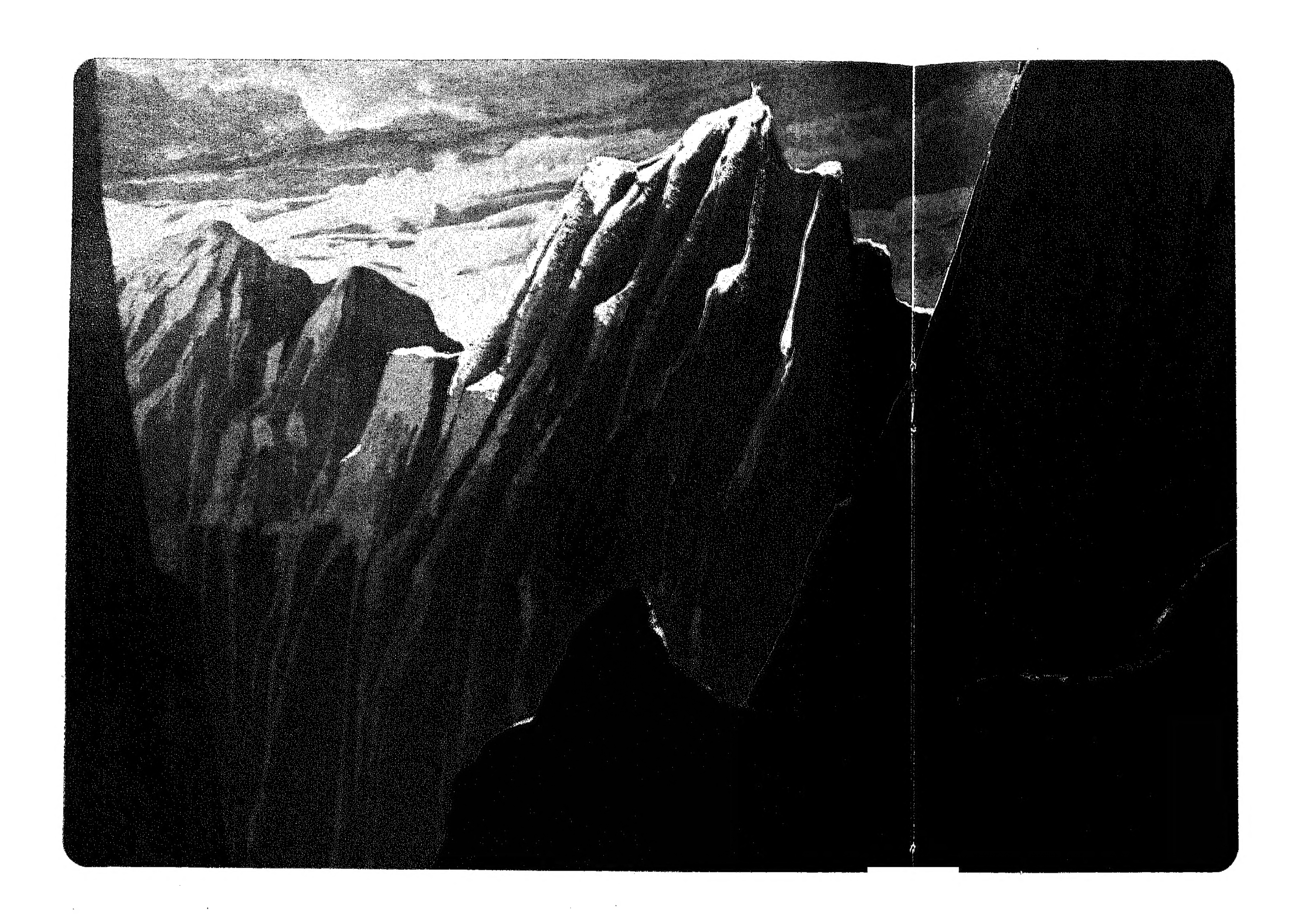
فَردَ رسولُ هارُونَ عباءَتَه على الأرضِ حتى آمتلأتْ بالحِلىٰ الذَّهبِ ، وحملها إلى هارُون ، الذي حَمَلها بِدورِه إلى موسىٰ . .

وأَمرَ مُوسىٰ أن تُحفَرَ لها في الأرض حُفرةٌ يُلقىٰ فيها الذهبُ كما هو في العباءَةِ . . ومضىٰ يهيلُ الترابَ عليه وهو يقولُ :

ـ هذا ذهبُ المِصريِّينَ . . وهو ليس من حقِّنا . . وفِتنَتُه أكبرُ من فائِدتِه .

كان السَّامريُّ يلاحظُ هذا كلَّه وراح ذِهنُه يعملُ بِسرعةِ البرقِ لاحظَ المكانَ الذي دَفنَ فيه مُوسىٰ الذهبَ . . وعرفَ كيف يصلُ إلى المكان إذا أرادَ . . وعبرتْ ذِهنَه صورةُ العِجلِ أبيس . . معبود المِصريِّين . . وهم يحتفِلونَ به . . وراحتْ صورةُ الحِلىٰ الذّهبية ، وصورةُ القبضةِ التي قَبضها من أثرِ الرسولِ جبريل عليه السَّلام ، راحتِ الصورتانِ تعبُرانِ ذهنَه وتَلحَّانِ عليه إلحاحاً . .





خرجَ موسى عليه السَّلام لِمُلاقاتِ رَبِّه . . قالَ لأخيهِ هارونَ :

﴿ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سار مُوسىٰ طَويلاً في الصَّحراءِ حتى ٱنتهىٰ إلى الوَادي الذي ناداهُ الله عزَّ وجلَّ فيه أوّل مرةٍ . .

عبرَ الوادي المُقدَّسِ وصَعدَ الجبلَ وبدأ يُهيِّىءُ نفسَه لِميقاتِه مع الله . . كان يصومُ النهارَ كلَّه ويَتعبَّدُ الليلَ كلَّه . . كانتْ نفسُه ترتفِعُ من كمالٍ إلى كمالٍ أعظَم ، وكان الله تعالىٰ يفيضُ عليه من التَّجلياتِ والأنوارِ . .

ووسطَ جلالِ الجِبالِ وٱمتدادِ السماءِ وحركةِ السُّحبِ . . بدا موسى مِثل نُقطةٍ صَغيرةٍ وسطَ هذا الجَلالِ الكونيِّ الذي يَتلقَّى من اللّهِ فُيوضَ أنوارِه . .

وأتمَّ موسى ميقاتَ ربِّه أربعينَ ليلةٍ . . وكلَّمهُ الله تعالىٰ تَكليماً . .

أنزلَ عليه التَّوراةَ . .

وسألَه الله تعالىٰ لماذا سَبقَ قَومَه وجاءَ إليهِ . .

﴿ قَالَ : هُمْ أُوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي . . وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ . .

عندئذٍ حدَّثه الله تَعالىٰ أن قومَه قد ٱفتُتِنوا من بعدِه . . حدَّثه اللّهُ عمَّن أَضَلَّهُم .

كان السَّامريُّ هو الجاني الذي أَخبرَ الله بٱسمِه . .

لم يكدْ موسىٰ يَخرجُ لِميقاتِ ربِّه حتى بدأ عقلُ السَّامريِّ يعملُ . . تأمَّلَ أحوالَ بني إسرائيلَ وأدركَ أن القومَ

يتحـــرَّقـونَ شَــوقــاً إلى عبــادةِ شيءٍ مَلموسٍ . .

كــانتْ هنــاكَ رغبــةٌ عــامــةٌ في الوثَنيةِ . .

وكـان كـلُّ مـا فَعَله السَّـامـريُّ أَنـه آستجابَ للرَّغبة العامةِ ، وهَكذا تسلَّلَ في جنحِ اللّيلِ إلى المكانِ الذي دَفنوا فيـه ذَهبَ المِصـريِّينَ ، وآستخـرَجَـه وأوقدَ ناراً وبـدأ يصهرُ الـذهبَ . . كان يُفكِّـرُ في العِجـلِ أَبيس . . معبـودِ المِصـريِّين القَديمِ . . وقـررَ أن يَهدي بني إسرائيلَ عِجلاً مثله . .

أَلـمْ يقـولـوا حيـنَ رأَوا عَبَـدةَ الأصنامِ : آجعـلْ لنـا إلهـاً كمـا لهُم آلهـةٌ . . سَيُحقِّقُ لهم السَّـامـريُّ هـذه الرغبةَ . .

بـدأ يصنعُ قـالباً لعجـلٍ ، ثم وضعَ فيه الذهبَ الـذي آنصهَر ، ووضـع مع الـذهبِ قبضـةَ الحيـاةِ التي قَبَضهـا من تُـرابٍ سارَ عليـه جبريـل . . وآنهمـكَ طوالَ الليلِ كله يصنعُ تمثالَه . .

حتى إذا وافَى الليـلُ نِهايتَـه كـان السَّـامـريُّ قـد آنتهَى من صُنعِ عِجلهِ الذَّهبيِّ . . وكان العِجلُ لِدَهشتِه يَخورُ مِثـل عِجـلٍ حقيقيٍّ . . أَهي قبضــةُ الحياةِ التي تجعلُه يخورُ . .أَم هو الهواءُ الـذي يَـدخـلُ من ظهـرهِ ويخــرجُ من فمـه ؟ مَهمـا يكُن من أَمـرٍ . . فقـد آنتهىٰ السَّامريُّ من صُنعِ مُؤامراتِـه . . وقررَ وهو يتأمَّلُ العِجلَ أَن يُقدمَـه هديـةً لبني إسرائيلَ بوصفِهِ إلٰهُهُم الجديدُ . . وإله موسىٰ . .

سَيقـولونَ لـه : ولكنَّ موسىٰ خـرجَ لِلقاءِ إلٰهِه . .

سَيقولُ لهم : لقد نَسيَ موسىٰ . .
خَرجَ لِلقاءِ إلٰهِه هناكَ، بينمَا هو هنا . .

هَكذا حدَّثَ السَّامريُّ نَفسَهُ . .

آستيقظَ بنو إسرائيلَ فوجدوا حُلمَهُم قد تحقَّقَ . .

شاهَدوا العِجلَ الذهبيَّ الذي صنعَه السَّامريُّ، وكان يقفُ جِوارهُ وهو يبتسمُ بـذكـاءٍ يُحـاوِلُ عَبثـاً أن يُضفي على سِحنتِه علائِمَ الطِّيبةِ .

خرَّ بنو إسرائيلَ أمامَ العِجل ورَاحـوا يَتعبَّـدون لـه ، ويَـذكُـرونَ كيفَ كـان سـادتُهم من المِصريِّين يَصنعـونَ أَمـامَ عِجلهِـم المَعبـودِ . . ويُحـاولـونَ تَقليدَهُم . .

ووصـلَ الخبـرُ لـهـارون أن بني إسرائيلَ الـذين نجَّاهُم اللّهُ من فِرعونَ يَعبُدونَ عِجلاً من الذهبِ . .

هرعَ هارون فـوجدَ القَـومَ يرقُصـونَ حولَ العِجلِ ويتواجَدونَ .

وقفَ يَصـرخُ فيهم : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا أَمْرِي** ﴾ . .

لكن القومَ لم يعبأوا بصرختِهِ . . ولا سمِعُوا تَحذيراته المُتكرِّرةِ بِفَسادِ ما يَعملونَه وضلالِه . .

وقـامتِ الفِتنةُ في بني إسـرائيلَ . . آنقسمُـوا إلى قِسمينِ . . الأغلبيـةُ الكـافِـرةُ طَـاوعتْ حَنينَهـا لِـعِبـادةِ الأصنـام ، والأقلِّيةُ المُؤمنـةُ أدركتْ أن هـذا هـراءٌ . وعـادَ هـارونُ يَعِـظُهم ويُذكِّرُهم بِمُعجِزاتِ الله التي آثرهُم بها وأنقـذَهُم بهـا ، ولكنَّ بني إسـرائيـلَ رَفضـوا مَوعِـظَتَه وآستهـانـوا بنصيحتِـه وآستضْعفُوه وكادوا يَقتُلونَه . .

وخَشيَ هارونُ أن يقومَ الصِّراعُ بين عَبـدةِ العِجـلِ والمُنكِـرينَ لِعبادتِـه ،

وخَشيَ أنْ يَقتتِل بنو إسرائيل ، ولم يكُن موسىٰ موجوداً ، ومن ثمَّ فقد آثر هارونُ أن يؤجِّلَ المُشكلةَ حتى يصلَ .

عادَ موسىٰ غَضبان أسفاً . .

ألقى ألواحَ التَّوراةِ من يدهِ وصرخَ في قومه :

﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ﴾ .

ثم تَقدّمَ نحو أخيهِ وأمسكَ به من شَعرِ لِحيتِه وشَعرِ رَأسهِ . . وشدَّهُ نَحوهُ وهو يَسألُه بِغَضبٍ :

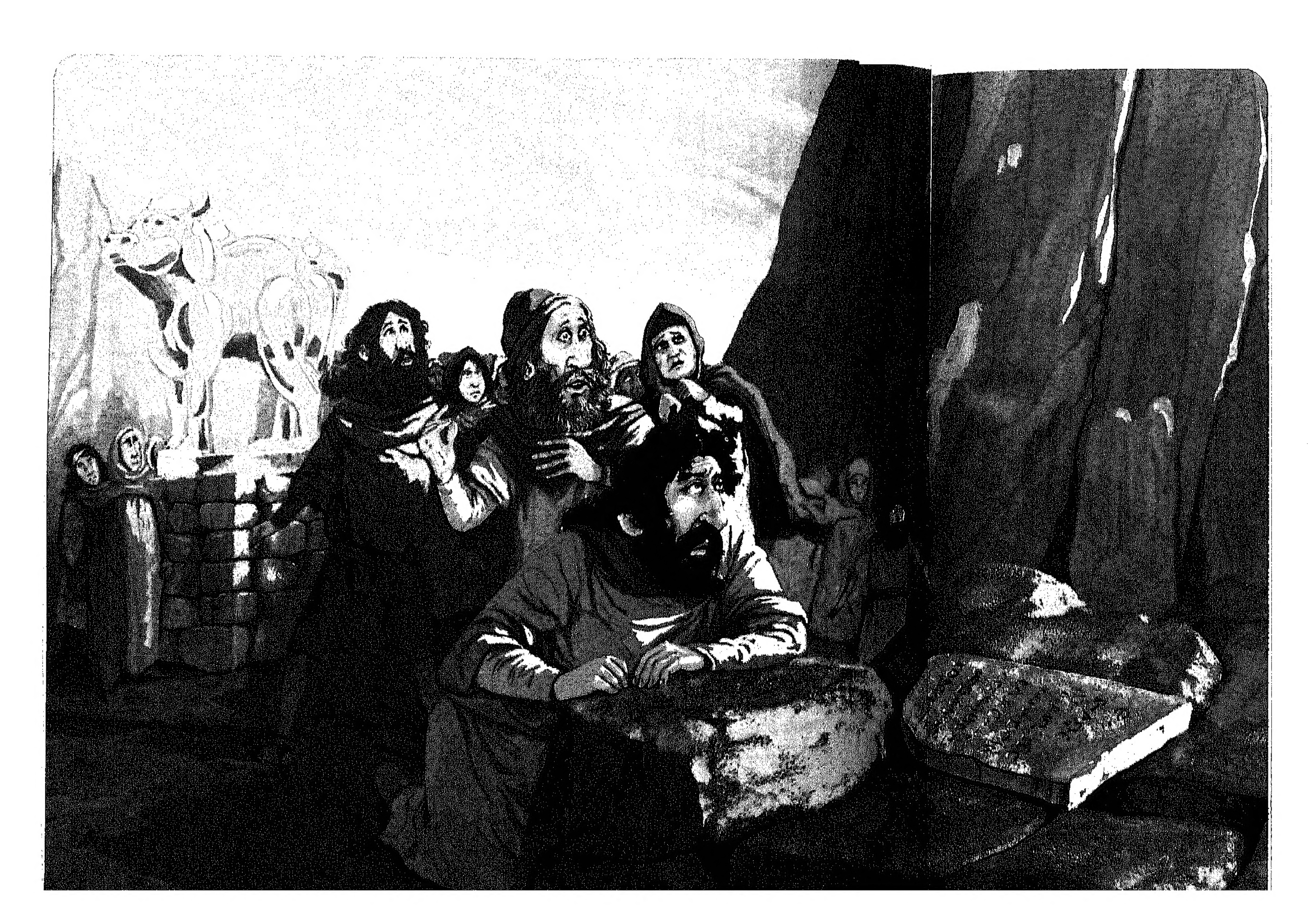
﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . . أَلَّا تَتَّبِعَنِي . . أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي . . ﴾ .

أنشأَ هارونُ يقولُ ـ وهو يُحاولُ تَذكيرَ مُوسىٰ بانتِمائِهما لأُمٍّ واحدةٍ ، لكي تُثيرَ مَشاعرَ الحُنوِّ في نفسه :

﴿ قَالَ : يَا ٱبْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي . . إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ .

تراخَتْ قَبضةُ موسىٰ التي تُمسكُ بهارونَ قليلاً ، وعادَ هارونُ يقولُ :

﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي



وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ ﴾ .

أَطلقَ موسىٰ سراحَ هارونَ وهو لم يزلْ يرتَعشْ . . سأَل :

ـ أينَ السَّامريُّ ؟

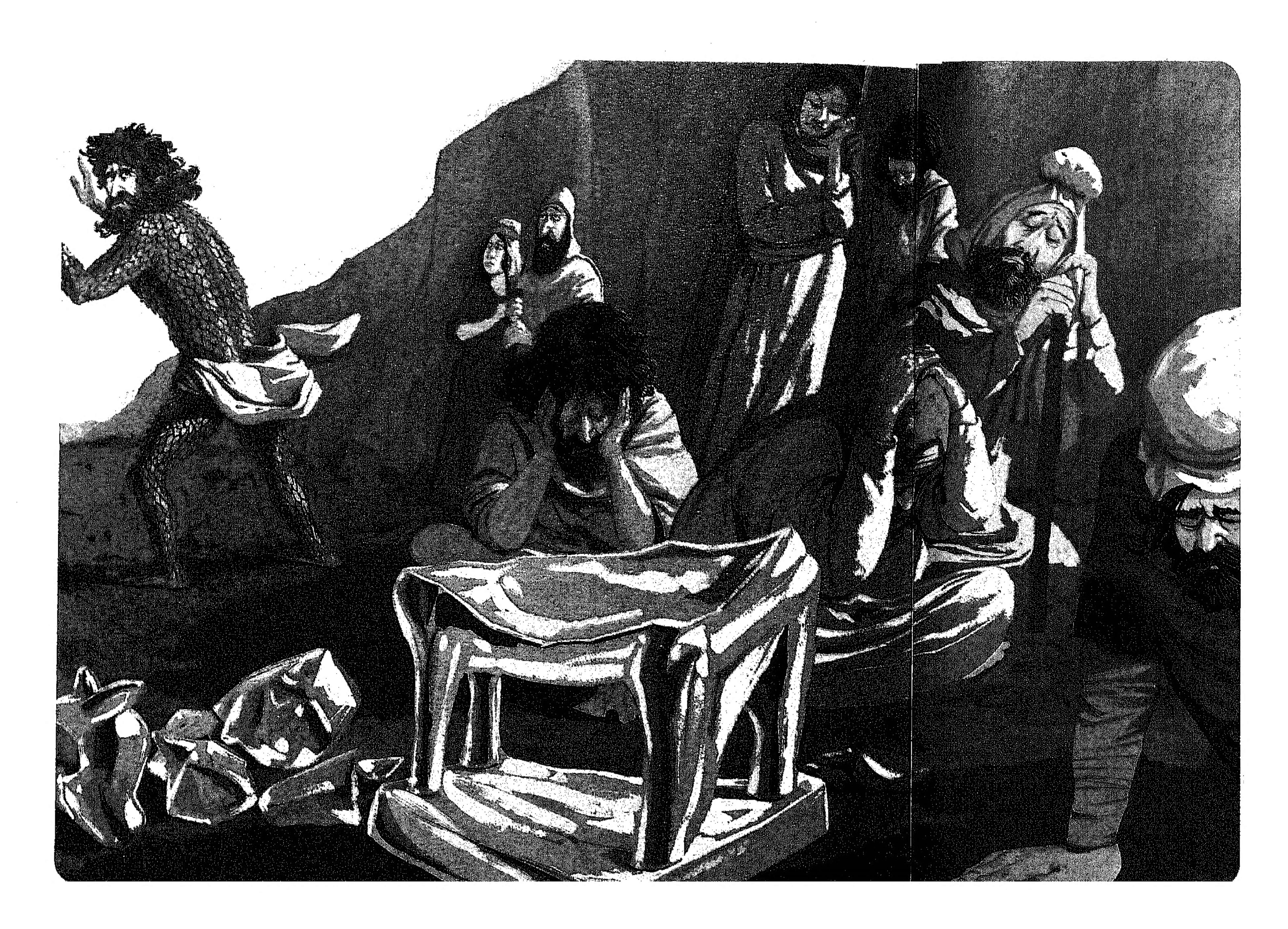
برز السّامريُّ ووجهُه في لونِ الليمونِ الأخضرِ . .

سأَله موسىٰ :

﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ؟

آعترفَ السَّامريُّ في مُحاكَمَتِه بكل شيءٍ . .

قالَ كلَّ ما حدثَ . . تَفكيرُه في ذهبِ المِصريِّين ، والقَبضةِ التي



قَبَضَها من أثرِ الرسولِ جبريل .

تحدّثَ عن صِناعتِه لِلعِجلِ . .
وآدِّعائِه أنه إلٰهُ القومِ وإلٰهُ موسى . .

حين وصلَ السَّامريُّ لهذا الحدّ من آعترافاتِه صمتَ فَجأةً . . لم يكُن يَعرفُ ماذا يقُولُ . .

سأَلَه موسىٰ بِغضبٍ : لِماذا فَعلتَ ما فَعلتَ ؟

قالَ السَّامريُّ مُنهاراً : **﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾** .

هَكذا أمرَتني نفسي الأمَّارةُ بالسُّوءِ . وصدر الحُكمُ على السَّامريِّ والعِجلِ معاً . . كما صدَر الحُكمُ على الذين ظَلموا أنفُسَهُم بِعبادةِ العِجلِ . .

أما السَّامريُّ فقد حُكِمَ عليه بالوحدةِ في الحياةِ، حُكِمَ عليه بالنَّفيِ داخلَ جسدهِ.

قالَ له موسىٰ : **﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مَسَاسَ ﴾** .

هذا يَعني أن لا يَمسَّ أحداً أو يَمسَّه أَحدٌ . . عقاباً له على مَسِّه ما لم يكن ينبغي له مسُّه من ترابٍ سارَ عليه جِبريلُ عليه السَّلام . .

بعد أن أصدرَ موسىٰ حُكمَه على مُدبِّرِ الفِتْنةِ حكمَ على أداةِ الفتنةِ بالنَّسفِ ، أمرَ أن يُحرقَ العِجلُ الذهبُ ويُنسفَ وتُلقى بقاياهُ في اليمِّ . . لم يَكتفِ بصهرِهِ أمامَ عُيُونِ القومِ المَبهوتينَ ، وإنما نسفَه في البحرِ نَسْفاً ، وتَحوَّل الصنمُ المعبودُ أمامَ عيونِ المفتونينَ به إلى رمادٍ يتطايرُ في البحرِ . . وآرتفَع صوتُ موسىٰ والصنمُ يَحترقُ . . **﴿ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾** .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۝ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ۝
فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا
حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِى ۝ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ
ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ۝ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا
لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ۝ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن
قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ۝
قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ
إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ۝ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ
بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ۝ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝
قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ
وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا
إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝

صدق الله العظيم